٢٢٩
ق ٥٦٧

نقد كتاب حياة محمد

نشر أكثره مقالات في
جريدة الكوكب الغراء

بقلم

عبد الله بن علي النجدي القصيمي

١٣٥٤ هـ — ١٩٣٥ م

المطبعة الرحمانية بمصر
شارع محمد علي نمرة ٢٥ تليفون ٥١٥٢٢

مكتبة الملك فهد الوطنية
124090
٢٣٥٢٤٢

الإهداء

الى الذين يبتغون الحق لوجه الحق وحده

طبق الأصل من كتاب
« حياة محمد »

المؤلف

محمد عليه السلام

ولد يتيما فى عصر اتفقت كلمة المؤرخين والرواة على أنه من أخبث العصور وأكثرها انحطاطاً من جميع النواحى الخلقية والعقلية والدينية والحكومية . عصر هو فى الحق عصر الظلم والظلمات . ولد فى أمة تائهة فى الضلال والجهل ، تائهة فى البغى والظلم ، تائهة فى الشرك والكفر ، تائهة فى الفرقة والاستبداد ، تائهة فى القساوة والعنف ، تائهة فى كل معانى الغضب والسخط .

أمة لا تدين لزعيم بزعامة ولا لحاكم بحكومة . كل رجل منها يحسب الزعيم من فى بردته ، والسيد من تحت خيمته .

أمة ليس لها قائد يقودها فى مواطن القيادة ، وليس لها دستور يجمعها

ولد هذا اليتيم فى أمة بلغت وحشيتها وقسوتها أن تحفر لفلذات أكبادها فتدفنهم فى الأرض أحياء أطهاراً صغاراً لا لذنب ولا لسبب غير خوف تلك الوحوش أن يصيبوا مما يطعمون أو مما يشربون وغير توهم تلك الوحوش أن يجلبوا لهم العيلة والعار .

أمة بلغت جهالتها وغباوتها أن تعبد ما تصنع بأيديها من أحجار وأصنام وغير ذلك ، ثم إذا جاعت أكلت ما كانت تعبد وما كانت تخضع له وتسجد .

نشأ هذا اليتيم فى أمة هذا بعض شأنها . نشأ وديعاً هادئاً أميناً تقياً طاهراً بعيداً عن كل هذه الشرور والآثام ، بعيداً عن كل هذه الأمراض الاجتماعية والخلقية ، بعيداً عن ذلك كله حتى لم يستطع التاريخ الحفيظ

ان يحفظ له غلطة او كذبة أو جريمة، وذلك كله عند قومه، حتى ضرب به المثل فى الطيب والصلاح والاستقامة، وحتى سماه قومه بحق (الأمين)

نشأ هـذا اليتيم وشب وصار رجلاً وبلغ أربعين سنة. بلغ هذا العمر كله وهو كما ذكرنا نقاء وطهارة وطيباً وأمانة. أنفق هذا العمر كله أمياً لم يقرأ كتاباً ولم يدخل مدرسة أو يتلق من معلم ولم يخط بقلم أو يقل بيت شعر أو يؤلف خطبة أو رسالة، بل ولم يشارك قومه فى شىء من أشعارهم وتفاخرهم بها ولم يحاول يوماً أن يكون خطيباً أو بليغاً أو غير ذلك من أصناف القائلين

أنفق هذا العمر كله خالياً من كل شىء إلاّ من الطيب والاستقامة والرحمة. خالياً من كل شىء إلاّ من الخلق المرضى ومن الوداعة والهدوء. أنفق هذا العمر كله كما ذكرنا وفوق ماذكرنا.

ثم فجأة وعلى غير رقبة قام فى قومه الذين لم يعرفوه إلا صدوقاً أميناً، فى قومه الذين لم يعهدوه إلا باراً نصوحاً تقياً، فى قومه الذين لم يجدوه قوالا ولا خطيباً، ولا شاعراً ولا مفاخراً، فى قومه الذين لم يحفظوا له فى عمره كله غلطة من الغلطات، فى قومه الذين لم يروا منه حرصاً أو طمعاً فى رئاسة أو دنيا، فى قومه الذين يعرفونه كما يعرفون أنفسهم حيياً خجولا، خائفاً للعواقب، فى قومه الذين يعرفونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولا يقرض شعراً أو يخطب

ثم فجأة وعلى غير رقبة قام فى قومه هؤلاء صائحاً فيهم منادياً فى نواديهم: أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا، أيها الناس إن الله اراد رحمتكم وأراد إصلاحكم، إن الله أراد أن ينقذكم مما أنتم فيه من

وثنية وشرك، إن الله أراد أن يطهركم من هذا البلاء تطهيراً، إن الله أراد بكم كل خير وكل سعادة فأرسلنى اليكم فأطيعونى تسعدوا، أطيعونى تملكوا الدنيا، تملكوا من ملكوكم، تملكوا أولئك الذين طالما اتخذوكم لهم عبيداً وخولا، والذين طالما أذلوكم، وطالما سقوكم الذل أنواعاً.

ثم فجأة وعلى غير رقبة قام صائحاً فى قومه: أيها الناس إن الله أنزل على كتاباً به نبأ الأولين والآخرين، به ما كان وما سيكون، به أخبار الأنبياء والمرسلين، كتاباً جمع من الحقائق والتواريخ الصائبة الصحيحة ما لا يعلمه علماء الأرض الذين ردت إليهم زعامة الديانات، وزعامة التواريخ، والذين قضوا أعمارهم بين أحشاء الكتب فى أرقى أمم الأرض حضارة وعمراناً. كتاباً يصحح لأهل الأرض جميعاً أغلاطهم وأخطاءهم ويحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون. كتاباً به من القوانين والدساتير والشرائع ما يبقى على الأيام وما يرضى كل زمان ومكان. كتاباً به من العلوم، علوم الأرض والسماء، علوم الماء والهواء، مالا تستطيع الأيام على مرورها وكرورها أن تبطل عليه نظرية واحدة، أو تنقض عليه حقيقة واحدة. كتاباً به من قوانين الأخلاق وقواعد علم النفس مالا يعلمه أحد من أهل الأرض، وما لا تزيده الأبحاث والتجارب إلا قوة وثبوتاً. كتاباً أتحدى به الناس جميعاً، أتحدى به النوع البشرى كله، أتحداهم على أن يجاروا ألفاظه أو معانيه، أو يبطلوا عليه نبأ من أنبائه عن الغيب، أو عن العلوم، أو عن التواريخ، أو عن أصل الخليقة أو عن الكتب التى بين أيديهم، أو عن الله، أو عن ملائكته، أو عن الآخرة وما فيها من سعادة وشقاء، أو عن كل شىء. أتحدى الناس

جميعاً على أن يأتوا بمثله أو بما يقاربه ، أو بما يبطله ، وأنا أمهلهم سنة وسنين ومئات السنين ، ولهم أن يستعينوا بمن شاءوا من الأنصار والجنود . كتاباً يقول لابد من أن يكون كذا فيكون كما قال وكما حدث . كتاباً يقول لابد من أن يكون له الغلب ولمن عمل به أخيراً فيكون كما قال وكما حدث . كتاباً لن تستطيعوا أنتم وأهل الأرض جميعاً على أن تفنوه أو تمحوه من الوجود ، بل ولا أن تمحوا حرفاً منه ولو انفقتم كل قواكم وجهودكم لذلك ، وليس له من نصير وحام غير الله الذى أنزله . كتاباً خالداً فى الناس ما خلد الليل والنهار ، باقياً فى الناس مابقى فى الأرض حق وباطل ، وما بقى خير وشر

نعم . ثم فجأة وعلى غير رقبة قام فى قومه بهذا الصوت الداوى ، بهذا الصوت المفاجىء الغريب عن تلك الأصوات التى ألفوها ، بهذه الدعوة الغريبة عن تلك الدعوات التى عرفوها .

فماذا كان ؟

فماذا كان من قومه إزاء هذه الدعوة وإزاء هذا الداعى ؟ ما كان منهم إلا التكذيب لما جاء به جملة والانكار جملة . وما كان منهم إلا الجحود لما جاءهم به من حق ومن هدى . جبهوه بالكفر والعناد . جبهوه بالمساءة والإيذاء . أنكر ما جاءهم به كبيرهم وصغيرهم ، أحرارهم وعبيدهم ، قريبهم وبعيدهم . رموه كلهم عن قوس واحدة وبقوس واحدة . كذبوه بعد أن كان عندهم الصادق الصدوق ، خونوه بعد أن كان الأمين المأمون ، ذموه وقد كان عندهم المحمود الممدوح . أجمعوا كلهم على

حربه ومناوأته وهو وحيد مفرد . وحيد إلا من الحق وإلا من عناية الحق . هجموا عليه بأسلحتهم المنوعة وهو أعزل إلا من كتاب ربه وإلا من دين ربه . قامت أمة بأسرها مشهود لها بالعناد وشدة الشكيمة وبالقساوة التى لا تعرف ليناً . قامت هذه الأمة بأسرها فى وجه هذا الوحيد المفرد الأعزل من كل سلاح قاتل مميت . قاموا فى وجهه ووجه دعوته . حاربوه بالسنان واللسان ، بالقوة والبيان . قالوا إنه ساحر ، وقالوا كذاب ، وقالوا مجنون ، وقالوا ضال ، وقالوا دجال زائغ ، وقالوا فيه كل ذم وقدح فى كل قالب من قوالب بيانهم وبلاغتهم

فماذا كان ؟

فماذا كان منه أمام هذا البلاء ؟ ! كان منه أنه لم يضعف أمام شىء من ذلك ، ولم يهن لشىء من ذلك ، بل ولا فكر فى أن يهون أو يضعف أمام هذا الأذى الذى لا يصبر عليه إلا مثله من عباد الله . بل كان يزداد إيماناً بدينه وثباتاً على دعوته ومبدئه كلما ازدادوا فى أذاته وفى التجنى عليه فى سبيل إيمانهم بباطلهم . وكان يزداد بهم رحمة وشفقة كلما ازدادوا به قسوة وغلظة . وكان يبكى عليهم كلما ضحكوا سخرية منه وتنادراً به . وكان يشتد فى سبيل إحيائهم كلما اشتدوا فى سبيل إهلاكه ، ويسعى لحياتهم كلما سعوا لمماته . وكان يتمنى صلاحهم كلما تمنوا فساده . كانوا يضربونه ويسيلون منه الدماء فيقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون . . .

وكان إذا أسرفوا فى عذابه وإرهاقه وأرسل الله إليه ملكا يقول له :

أتحب أن نهلك قومك عامة ، يكون جوابه : « لا . إنى لأرجو أن يخلق الله من أصلابهم من يعبدون الله لا يشركون به شيئاً » وكان إذا لجوا فى الضلال والاعتداء فأصابهم الله بعذاب كقحط أو نحوه انتقاماً لرسوله جاءوه يطلبون منه الشفاعة لهم عند ربه الذى غضب له . فما يكون منه إلا أن يرفع يديه إلى السماء يدعو الله لهم ويخلص فى الدعاء

هكذا كانت حال رسول الله ، وهكذا كانت حال قومه : يمطرونه عذاباً ، ويمطرهم رحمة . يريدون به شراً ويريد بهم خيراً . وهكذا كان يضرب للإنسانية أروع الأمثال فى التسامح والعفو ، فى الثبات على العقيدة والمبدإ الحق ، فى مناهضة الباطل والضلال ، ثابتاً أمام هذا البلاء المستطير العنيف ، لا أقول ثبوت الجبال أمام الرياح الزعازع ، ولكن أقول ثبوت الإيمان القوى أمام الكفر . فلا أثبت من الايمان القوى ولا أقوى منه على منازعة الشر والاضطهاد . . . يدعو إلى الله فى وسط هذه الموجات الهوج . يدعو إلى الله هؤلاء القوم العتاة البغاة الأعوام تلو الأعوام فلا ييئس ولا يقنط على رغم ما يلقى من المؤيسات المقنطات . يبدى من ضروب التضحية والمثابرة ما لا يوجد عند الأيام والليالى .

هكذا كان والله يمده بأنواع الآيات ، ويعزز دعوته بضروب الدلائل والمعجزات . يبدى له كل يوم ما يكفى من جانب الهوى دليلا على صدقه وصحة دعواه ، دليلا على أنه عبد الله ورسوله بعثه بالرسالة العامة والشريعة الخاتمة . حتى الطبيعة ! ! ! . . الطبيعة نفسها لم تعتصم من أن تسخر لمحمد ولتعزيز دعوة محمد ولبيان فضل محمد . وما تكون

الطبيعة الصماء الخرساء فى جانب « محمد » . محمد الذى فتح الله به الآذان الصم والعيون العمى . أوليس وجود محمد نفسه قضاء على ناموس الطبيعة . فليس من الطبيعة أن يخرج من جزيرة العرب ، تلك الجزيرة الجدباء المحرقة ، أمى يقلب نظام العالم كله . . . حتى الطبيعة نفسها لم تستطع أن تعصم نفسها من أن تتصرف لفائدة محمد ودعوة دين محمد ، حتى شق له القمر وأجرى له الماء من بين أصابعه وأنطقت له الجمادات والحيوانات إلى غير ذلك من المعجزات .

كل ذلك إعذار من الله إلى أولئك الأقوام ، وكل ذلك إقامة للحجة عليهم ، وكل ذلك لئلا يقول فريق يوم القيامة ، يوم القاء المعاذير والحجج : يا ربنا ما جاءنا هذا النبى بدليل مادى على نبوته وعلى اختصاصك إياه بالرسالة . ونحن لا نعقل من الدلائل إلا المادى الحسى . وأما الدلائل العقلية فهى لغيرنا ، لمن ميزتهم يا ربنا علينا بالعقول الراجحة الثاقبة

وكل ذلك ، وأولئك الأقوام الكفار بمحمد فى حيرة مما يرون ، فى حرب مع أنفسهم من مسألة محمد ونبوة محمد . وكل ذلك ، والشك والكفر ينصهران فى صدور القوم شيئاً فشيئاً . وكل ذلك ، والباطل ينزاح من رؤوسهم اليوم بعد اليوم . وكل ذلك ، وجلد محمد يذيب شركهم وعنادهم الساعة بعد الساعة واللحظة بعد اللحظة . وكل ذلك ، وإشراق شمس محمد يبدد ليل ضلالهم حيناً فحينا . وكل ذلك ، والحق يعلو والباطل يسفل ويهوى

ثم ماذا ؟

ثم ما انقضى بضع وعشرون عاماً حتى أصبح هذا اليتيم صاحب الكلمة النافذة فى أولئك الذين أذاقوه العذاب أنواعاً ، وحتى أصبح السيد المطلق فى تلك الجزيرة الواسعة العنيدة ، وحتى أصبح أعظم ملوك الأرض تخشاه وتنقطع مرائرها خوفاً منه ، وحتى أصبحت كلها تمد له يد المسالمة رغبة ورهبة ، وحتى نفذ ما كان يرجو تنفيذ بعضه ، وحتى حقق كلما أراد تحقيقه وكلما جاهد فى سبيله ، وحتى قضى على كل رأى لا يرضاه أو لا يرضاه الله ، وحتى أصبح من كانوا يسعون لقتله يقتلون أنفسهم لإحيائه ، وحتى أصبح هؤلاء الأعداء الألداء كل منهم يرى السعادة التى لا تفوقها سعادة أن يظفر بنظرة منه ، وحتى وضع شريعة باقية على الدهر ، وأنشأ أمة معدة لتحطيم أعظم أمم الأرض ، وحتى ألف من شذاذ العرب والأعراب الذين ما كان التاريخ يعبأ بهم أو يعبأ ببلادهم لصغارهم وهوانهم . ألف أولئك الأبطال فى كل معانى البطولة ، أولئك الأبطال الذين تزهى بهم صفحات تاريخ الإنسانية ، وحتى أخرج من أولئك الأعراب الحفاة الجفاة معلمين لروما وأثينا ، مؤدبين لحكماء بيزنطة وفارس والهند ، وحتى فجر صخور تلك الصحراء الجرداء ينابيع عذاباً ، وحتى أعاد تلك الصخور والرمال عيوناً تجرى بماء الحكمة والفلسفة والعلم والعدالة ، وحتى جعل تلك البقعة الجرداء المحرقة متجه أنظار العالم ، وحتى غير مجرى التاريخ العالمى وقلب نظامه بسرعة لم يعهد لها نظير وبقوة لم يكن لها مثيل

فماذا عمل ؟

ثم ماذا عمل ؟ ؟ وإلى أى وجه ذهب بعد هذا الفوز وبعد هذا الفتح المبين وبعد هذا النصر التام ؟ ! الجواب : أنه ظل كما بدأ مجاهداً صابراً على جهاده متواضعاً جم التواضع زاهداً جم الزهد سهلا لطيفاً كما كان وكما خلق ، لم يغير ماناله من سلطان وقوة وجاه من أخلاقه شيئاً ، لم يكسبه ذلك إلا الحمد لله ومواصلة عبادته وكثرة تواضعه لمن آمن . والنفس العظيمة عظيمة أبداً ، عظيمة فى الرخاء كما هى عظيمة فى الشدة ، عظيمة فى القوة كما هى عظيمة فى الضعف . والذهب هو الذهب وإن كان فى يد الصائغ مذاباً

فما حفظ عليه أنه انتقم لنفسه ممن أذاقوه البلاء أشكالاً ، وممن أجلبوا عليه بكل أنواع الشر والنقمة ، ولا حفظ عليه أنه آثر نفسه على من آمن به بشىء من الأثرة ، ولا أنه رغب بنفسه عن أنفسهم ، ولا أنه استباح لذاته ماحرم عليهم ، ولا أنه ركن إلى الدنيا بعض الركون أو حاول جمعها ، وكان على ذلك قادراً . بل لقد كان يزداد بعداً عن الدنيا والمال كلما ازدادت الدنيا والمال إليه قرباً . حتى لقد خرج منها كما دخلها لم يدع ديناراً ولا درهماً ، وحتى خرج منها وسلاحه مرهون لليهود على طعام أهله الضرورى .

أعطاه الله تلك الدنيا بعد الجهاد الحاد والبلاء الحاد . فما أعطى تلك الدنيا من نفسه شيئاً . وقد باعها كلها للحق . والنفس الكبيرة

أعظم من أن تكون ثمناً لدنيا أو لرئاسة . وما خلقت الدنيا إلا لتكون من خدمها

ظل يرى الناس مالم يسمعوا به من أمثال الزهد والورع والتضحية والشجاعة والإيثار والمساواة والعدالة ما جعلهم يترامون على طاعته والدخول فى دينه وعلى التفانى فى حبه تراميا ، وما جعل الأعرابى العنيد الأبى يقف أمامه قائلا بشىء من الزهو والفخر والسرور : يا محمد والله لو أحببت أن أقطع رأس والدى لقطعته ولوضعته بين يديك . ظل يرى الناس - والدنيا فى يمينه وشماله - من أمثال الرجولة الكاملة والنبوة الخاتمة ما جعل أولئك العرب يطلبون الموت تحت راية الحق طلب الناس الحياة تحت راية الباطل ، وما جعلهم يحرصون على الفقر حرص الناس على الغنى ، وما جعلهم يتبارون فى الإيثار تبارى الناس فى الأثرة

ظل يضرب لهم هذه الأمثال حتى خرج من الدنيا والدنيا لاتعرف غير محمد وأمثال محمد ، وحتى خرج من الدنيا والناس لا يعرفون غير محمد وغير فضل محمد ، وحتى ظل العربى الذى يحب الحياة يعانق الموت الزؤام باسم الثغر راضى النفس يحفزه ما يتصور فى مخيلته من جهاد محمد وشجاعة محمد ، وحتى ظل العربى يدخل على أعظم ملوك الأرض جبروتاً وسلطاناً وفتكا غير حاسب إلا أنه رجل من سائر خلق الله ، وذلك لما بقى فى رأسه من أمثال محمد فى عزة النفس وفى إباء الضيم وفى تعظيم الله وحده ، وحتى ظلت الفئة القليلة من المؤمنين تناجز الجموع المعدودة بمئات الألوف غير حاسبة إلا أنها فى قبضتها

وغير حاسبة إلا أنها آخذة بناصيتها ، وذلك لأن محمداً ضرب لها المثل الأعلى فى الاعتداد بالنفس اعتماداً على الله فقاوم أهل الأرض كافة ، وهو موقن بالنصر ، موقن بأن العاقبة له فكان له ما أيقن وكان له ماقدر ، وحتى كان الأعرابى الفظ يسمع الآية الزاجرة فيصعق فرقاً من النار ويسمع الآية فى الرحمة فيطير لبه شوقاً إلى الجنة

خرج من الدنيا مخلفاً وراءه أولئك الجنود ، أولئك الملائكة فى صور الناس . لا أقول الملائكة . فليس هنالك أفضل من أن أقول : مخلفاً أولئك الصحابة . فما فى الألفاظ لفظ يتحمل من معانى العظمة والبطولة مثل ما يتحمله لفظ الصحابة ، وليس هنالك فى الألفاظ لفظ يشرف على لفظ الصحابة بعد الله ورسله . خلف وراءه أولئك الصحابة الأبرار بعد أن هذبهم بمدرسة السماء ، بمدرسة النبوة الخاتمة . مدرسة مادتها كلام الله ومدرسها ورئيسها محمد عبد الله ورسوله .

فأية رسالة أدوها ؟

فماذا عملوا بعده وأية رسالة أدوها فى الأرض ؟! الجواب : أنهم أغاروا على أطراف الأرض يحطمون أوثانها وأصنامها ، يحطمون طواغيتها وأربابها ، يحطمون ما يحجل به الناس فى ذلك العصر الموبوء من بلاء وعسف ، من هوان ووثنية ، من خرافات حطت الانسانية عن مستوى البهائم قروناً وقروناً . أغاروا على هذا البلاء وقد علمهم عبد الله ورسوله كيف يغيرون وكيف يغزون . أغاروا على ذلك . بماذا أغاروا ؟ ! لا أقول بالطيارات ولا الدبابات ولا الغواصات ولا الرشاشات

ولا الغازات الخانقة ولا بغير ذلك من أنواع السلاح القاتل . لا أقول بشيء من ذلك ، ولكنى أقول إنهم أغاروا بقلوب ! ! بقلوب مخلصة مؤمنة وكفى ! ! وبدعوة تحل القلوب قبل أن تحل الأسماع . فليس فى أنواع السلاح وعدد الجهاد أمضى من القلوب المخلصة المؤمنة ، وما فى الأرض أسرع احتلالاً للبلاد واستعماراً لها من الدعوة الصالحة المعقولة إذا ما قام بها رجال مخلصون عاقلون . أغاروا على هذا البلاء بهذه القلوب المخلصة المؤمنة تحمل هذه الدعوة المعقولة الصالحة ! !

وأى مخلوق رزق شيئاً من العقل والانصاف لايلبى تلك الدعوة ولايجيب لذلك الدعاء ؟ ؟ !

أجابت كل البلاد التى وصلوها ووصلتها دعوتهم . وما أجابت الدعوة وحسب ، بل إنها نسيت جميع مقوماتها مندمجة بدعوة أولئك الصحابة ، مندمجة فى مقوماتهم . تركت أديانها وأزياءها ولغاتها وعاداتها آخذة بدل ذلك دين الصحابة ومقومات الصحابة

فماذا ظهر ؟

كان أن أنقذوا الإنسانية المعذبة ، أنقذوا الأخلاق ، أنقذوا العقول ، أنقذوا الديانات ، أنقذوا الرؤساء والمرءوسين ، أنقذوا البهائم ، أنقذوا كل ذى روح ، أنقذوا أولئك كلهم من ذلك البلاء ، البلاء الذى فرضته عليهم أنانية الرؤساء الطاغين ، وفرضه رجال الكهنوت والجهل والحماقات . أنقذوهم من ذلك كله ، ثم أذاقوهم طعم الحرية . أروهم كيف تكون الديمقراطية ، كيف تكون العدالة . عرفوهم منزلة

المخلوق من منزلة الخالق . عرفوهم حق الله وحق عباده . أروهم ذلك كله بأكمل صوره ، وقد كان عندهم مجهولاً ، وقد كانوا لايعرفون منه شيئاً . وما زال الناس من ذلك اليوم إلى يومنا هذا يستضيئون بنور هؤلاء الصحابة ، وما زالوا يقبسون من تلك المشاعل العربية المحمدية . وكل حضارة ومدنية توجد اليوم هى فى الواقع متولدة من تلك المدنية العربية بواسطة أو بواسطات عديدة . وسوف يظل الناس إلى يوم البعث يجنون من تلك الدعوة كل على قدر استعداده .

هذه هى حياة محمد ، وهذا هو محمد عليه السلام مصوراً بقدر استعدادنا نحن لا بقدره هو . فما ترى فى هذه الحياة من المعجزات والسمو ؟ ! وماترى فى هذا اليتيم العربى الأمى من المعجزات والسمو ؟ ! حياة كلها معجزات وسمو . حياة سلسلة من العظمة والبطولة ، بطولة النبوة لا بطولة الرجولة فقط ! ! حياة لا يستطيع أحد أن ينكر عظمتها . المؤمن بنبوتها يعظم فيها النبوة والعظمة ، والكافر بنبوتها يعظم فيها البطولة والرجولة التامة . فالناس لا يختلفون فى تعظيم هذه الحياة ، والناس لا ينكر منهم أحد ما عليه لهذه الحياة من فضل ومن منة . إذن ليكتب الكاتبون فى عظمة هذه الحياة . كل يكتب على قدر استعداده وعقيدته ، وعلى قدر إيمانه . وليكتب « الدكتور هيكل » إذن فى هذه الحياة ، ولنكتب نحن بعض أغلاط هيكل ولننكر ما يدخل فى هذه الحياة من غلط فإن الغلط فى فهم العظيم هو فى الواقع غلط فى العظمة